ليتعظ به ويتدبره، أو ينتفع باستماعه ويتذكر به، فليس داخلاً في السمعة لوجود حُسن النية وصحة القصد، ولفقد اقتران الآفة لإرادة طمع عاجل من مدح أوغرض دنيا، كما قال أبو موسي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لو علمت أنك تسمع لحبّرته لك تحبيرا، فلم ينكر عليه، لأنه نو نيّة فى الخير وحُسن قصدٍ به. وقال للآخر الذى رفع صوته بالآية أسمعْ اللّه عز وجل ولاتسُمعنى، فأنكر عليه لماً شَهد السمعة فيه. وقد روينا أنه صلّى اللّه عليه وسلم مرّ برجل يُظهر التنوّه والوجل، فقال من كان معه، يارسول اللّه، أتراه مُرائيا، فقال لا بل أوّاه منيب.

واعلم أن الأكل والنوم على السلامة والصدق أفضل فى الحال، وأرفع فى المقام، وأحمد فى المآل، من القيام والصيام على يسيرٍ من التصنع والتزين للخلْق. ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء باللّه عز وجل. وحُدّثنا عن الحسن البصرى قال تُفْقَد الحلاوة فى ثلاث، فإن وجدتها فابشر وامض لقصدك، وإن لم تجدها فاعلم أن بابك مغلق: عند تلاوة القرآن، وعند الذِكْر، وفى السجود. وزاد غيره وعند الصدقة وبالأسحار.

وقراءة القرآن فى المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب. يقال الختمة بسبع ختم، لأن النظر فى المصحف عبادة. وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤن فى المصحف ويستحبون أن لا يخرجوا يوماً إلاّ نظروافيه . وخرق عثمان مصحفين من كثرة درسه فيهما.

الفصل العشرون

فى ذكر إحياء الليالى المرجوّ فيها الفضل، المستحب إحياؤها، وذكر مواصلة الأوراد فى الأيام الفاضلة

ويستحب إحياء خمس عشرة ليلة فى السنة، خمسٌ منها في شهر رمضان، وهى وتر ليالى العشر الأخير منه، وليلة سبع عشرة من رمضان هى صبيحة يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، فيه كانت وقعة بدر، وكان ابن الزبير يذهب إلى أنها ليلة القدر، وأما التسعة الأخر فأوّل ليلة من شهر المحرم، وليلة عاشوراء، وأوّل ليلة من شهر رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه وفيها أُسْرِىَ برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وليلة المعراج، وليلة عرفة، وليلة العيدين، وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون فى هذه الليلة مائة ركعة بألف مرة قل هو اللّه أحد، عشراً فى كل ركعة، ويسمّون هذه الصلاة صلاة الخير، ويتعرفون بَرَكَتها ويجتمعون فيها، وربما صلّوها جماعة. وروينا عن الحسن قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه وسلم

أن من صلّى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله عز وجل إليه سبعين نظرة، وقضي له بكل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة. وقد قيل إن هذه الليلة هى التى قال الله عز وجل فيها فيها يُفْرَق كل أمر حكيم، وأنه يُنسخ فيها أمر السَّنَة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل والله أعلم، والصحيح من ذلك عندى أنه فى ليلة القدر، وبذلك سمّيت، لأن التنزيل يشهد له، إذ فى أوّل الآية إنا نزّلناه فى ليلة مباركة، ثم وصفها فقال فيها يُفْرق كل أمر حكيم، فالقرآن إنما أُنزل فى ليلة القدر، فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله عز وجل إنا أنزلناه فى ليلة القدر.

ذكر مواصلة الأوراد فى الأيام الفاضلة

وهى تسعة عشر يوما تستحب فيها مواصلة الأوراد والدأب في العبادة، يوم عاشوراء، ويوم عرفة، ويوم سبعة وعشرين من رجب، ويوم سبعة عشر من شهر رمضان، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوم العيد، والأيام المعلومات وهى عشر ذى الحجة، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق. وفى الخبر صوم يوم عرفة يكفر سنتين، سنة ماضية وسنة مستقبلة. وصوم يوم عاشوراء كفّارة سَنَة. وقد رويناعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَلِمَ يوم الجمعة سلمت الأيام، وإذا سلم شهر رمضان سلمت السَنة. وقال بعض علمائنا مَن أخذ مهناه فى هذه الأيام الخمسة فى الدنيا، لم ينل مهناه فى الآخرة. وقال هذه الأيام يُرجى فيها الفضل من الله عز وجل والمزيد، فإذا اشتغلت فيها بهواك وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد؟ يعنى بالأيام الخمسة: العيدين، ويوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء. ومن فواضل الأيام بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس، يومان ترفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل.

ومن الفاضل الشهور الأربعة الحرم، وهى ذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم، ورجب، خصّهن الله عز وجل بالنهى عن الظلم فيهن، لعظم حرمتهن، فكذلك الأعمال لها فيهن فضل على غيرها، وأفضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه، ولِماخُصّ به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات؛ ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معا، وهو من الأشهر الحرم ومن أشهر الحج؛ فأما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج، وأما شوّال فليس من الأشهر الحرم ولكنه من أشهر الحج.

وأفضل الأيام فى الشهر العشران: العشر الأخر، والعشر الأول من ذى الحجة، وبعدهما

عشر المحرم من أوله، فالأعمال فى هذه الأيام لها فضل ومزيد على سائر الشهور. وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن صام ثلاثة أيام من شهر حرام بعّده الله من النار سبعمائة عام- يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت. وفى خبر آخر صوم يوم من شهر حرام يعدل صوم ثلاثين يوماً من غيره، وصوم يوم من شهر رمضان يعدل صوم ثلاثين يوماً من شهر حرام. ثم إن أفضل الأوقات فى جملة الأيام أوقات الصلوات الخمس. وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخلت العشر الأواخر من شهر رمضان طوى الفراش وشدّ المئزر. وفى حديث آخر إذا دخلت العشر الأواخر دأب وأدأب أهله، يعنى أدام وأداموا التعب والنَصَب فى العبادة. وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيامٍ العملُ فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة. إنّ صوم يوم منه يعدل صيام سنة، وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلةالقدر. قيل ولا الجهاد فى سبيل الله، قال ولا الجهاد فى سبيل الله، إلاّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع منهما بشئ. وفى لفظ آخر إلاّ من عُقِرَ جواده وأهريق دمه.

وإذا أحب الله عز وجل عبداً استعمله فى الأوقات الفاضلة بأفضل الأعمال ليثيبه أفضل الثواب، وإذا مقت عبداً استعمله بأسوأ الأعمال في أفاضل الأوقات، ليضاعف له السيئات، بانتقاص حرمات الشعائر، وانتهاك المحرمات فى الحرمات. ويقال من علامات التوفيق ثلاث: دخول أعمال البرّ عليك من غير قصد لها، وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها، وفتح باب اللجأ والافتقار الى الله عز وجل فى الشدة والرخاء. ومن علامات الخذلان ثلاث: تعسّر الخيرات عليك مع الطلب لها، وتيسر المعاصى لك مع الرهب منها، وغلْق باب اللجأ والافتقار إلى الله عز وجل في كل حال. فنسأل الله تعالى بفضله حسن التوفيق والاختيار، ونعوذ به من سوء القضاء والأقدار.

الفصل الحادى والعشرون

فيه كتاب الجمعة، وذكر هيآتها وآدابها، وما يُستحب من العمل فيها للمزيد فى يومها وليلتها

صلاة الجمعة واجبة بأوصاف وساقطة بأوصاف، فوجوبها يكون بالإقامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر، وتكملة عدة أربعين رجلاً أحراراً، وسقوطها بالسفر، ودخول وقت العصر،